

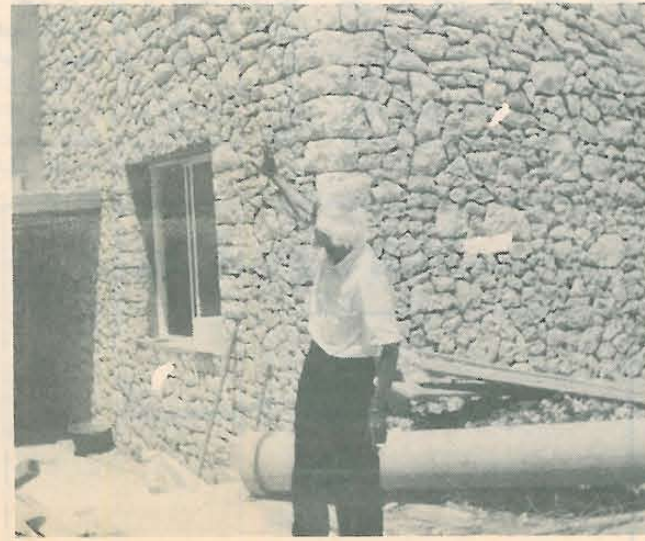
ضجة في راشانا: متحف أم محترف؟ (١) القرية صارت مزاراً والفرد بصبوص ينحت المسرح والظلال



أهلاً بكم في متحف راشانا الجديد



ماري بصبوص ترتب محترف البهاء



الفرد بصبوص يشرح أسباب إقامة المحترف المتحف



... على هذا الحائط سيحفر الاسم والمعنى ... وهنا كل الحكاية



... والحلم مجنون



الفكرة مدهشة

عالمين يتنافسون على مجسمات تستوطن راشانا الحلم والحقيقة. ومع ان المشاركة ستكون من الشرق والغرب واللقاء هو تأكيد جيد لدور راشانا في ربط النحت بها. فثمة سر في هذه القرية البترونية، لا احد ينتبه اليه او يفهمه جيدا الا طبيعتها. فالطبيعة اذا حافظت على انسايبتها ونظافة بيئتها وابتعادها عن «همجية اللبنانيين» الذين يقطعون الشجر لبناء الحجر، عامل مساعد لابقاء الجمال منسابا في العين، متناغما مع التلال والتعاريح، مع الحقول وارتقاء النبات في الطرق وكأنه مسلات تأوي الفرح اليها والبهجة في صدور الناس الاتقياء.

فأي شيء تريده من راشانا وطبيعتها الآن في الرحيق او بدونه؟ عسلا في شجده ام نحلا هائما في قفري؟

البيان والتبيين

هذه استعارة. والاطرف من تواردها عكسا وطرادا، نحوا، صرفا، او بيانا في التبيين، انها واقع في العين تشهد لبهائه، وقدره «القدوس» الذي أحالها الى جنة جمال يكمل فيها النحت البصبوصي لغة الوصف والاكتمال الهندسي: من ناحية علوها القليل عن المتوسط، فتبدو كقبضة كف منحوتة، زرقتها من زرقة المياه المالحة وخضرتها من شجر لا تغيب عنه الشمس حتى في المطر والعواصف. ومن ناحية، تحميلها صفة الادهاش. والدهشة في هذا المكان متحف طبيعي يجمله الفرد بصبوص مع عائلته الصغيرة في طبيعتها ماري الزوجة المستنفرة لشقع الحلم ووضعها حيث له ان يشهق ويتألق. إن عملاقة الطبيعة والابقاء عليها بكرة مرتبة ومدونة بالفن والجمال في راشانا، او في اي مكان آخر من لبنان اليوم، هي عملاقة للانسان في ذاته.

وعلى هذه «العملاقة» ان تتابع بالصفاء والاتقان واليقظة والحماية من سكان هذا الجبل الجميل، لا ان تذهب «مناشيرهم الكهربائية المتطورة» في نزع الغابات من مكانها لتأوي بشاعات العمارة الحديثة، تحت الطرق او فوق الطرق، في قلب الصخر او على رابية او عند قديم جدودنا الباقي في الكروم. لان قطع شجرة عمرها مئات السنين كقطع اعناق اللبنانيين بالصائفة الاقتصادية والاجتماعية والخلفية والثقافية التي تواجههم كل يوم. فكيف نحمي هذا البهاء الرائع المتشكل في مساحات الضوء والهواء الطبيعي في راشانا اليوم او في سواها من «قرانا السماوية المعلقة الخضراء»؟

نحميه بتشريع قانوني يمنع هذه «البشاعات المرتفعة» باجبار «ملاك» الجبل ومكتنزاته الطبيعية، بان يحفظوا للشجرة مكانها، وللطير رحابته وللبلبل غناؤه الرخيم يجعل عمارتهم موازية لما يبني الآن في راشانا للنحت وللطبيعة معا.

فالانسان لا يسكن «معلبات» الصفيح والتنك والقصدير. يأتي الى هذا المدى ليحمر الداخل فيه بالذوق والجمال وكان الطبيعة ملكة لا ملك الفأس التي تكسر الاغصان والجذوع كرمي لعين السكن الاعمى. راشانا المحترف الطبيعي. راشانا مسرح الاضواء والظلام هي «الصخر الصعب» الذي يبقى على الجذور.

رياض فاخوري

راشانا الورشة الجديدة

هذه المتروكات المكتنزة المتداخلة في حجر راشانا وبيوتها تنبو وتتكلم عنه كلما مررت في راشانا الورشة الجديدة في حلم الفرد بصبوص واصرارها على ان «الجنون للفنان في مشاريعه المستحيلة، اكبر من واقعية تجار الهيكل وتكالبهم على الصيرفة واذلال الادمغة الخلاقة».

التركة اعجاز هي. والمكان يلائم الافكار الخلاقة والتواصل مع الماضي يرتب «مدينة البهاء» مجددا، ولكن «متى تنتهي الفرد بصبوص من زرعك الجديد»؟

«قريبا كل دمك سيعلو وستهجم التماثيل والتكوينات، ولكن بعد ان ترتب كل شيء وننتهي من هذه الورشة».

- ورشتك ليست عادية. كل حجر متداخل. كل سقف من هذا المحترف يستعد لتجميله. □ تجملنا راشانا كلنا. هي الفرع والاصل والجذور.

ويمشي باتجاه «المحترف» الذي يعلو ويكتمل.

«جنون ما تفعله»، اقول له «بالجنون نبني الاحلام الكبيرة»، يعلق.

ويدعونا بحركة عصبية للتعويض الى الطابق العلوي من «المحترف/المتحف».

الورشة قائمة في الداخل. عجة الطين تسوي المطارح والجدران. ورفوش العمال تحدث ضجة لذيدة. والبنيان يتتالي ويرتفع وكان قلبا من التماثيل سوف يخفق بين هذه الجدران والاقوكة والسقوف.

- هل يوم الحشر أت الفرد بصبوص. لا يجيبني. ينظر عبر نافذة عالية وواسعة مظلة على المتوسط، ليقول لي:

«هذا بحر البترون والمدينة على ضفافه».

وكان في تعابير اهل القرى والجبال بحورا خاصة بكل مدينة على الساسل اللبناني المتمد من الناقورة حتى اقاصي الشمال. فالمتوسط في تعابيرهم يتحول متوسطات صفرى وكبرى، حسب الخليج واتساعه، وينتقي في النهاية مع جغرافية المكان وتوزع السكان على رقعة الدساكر البحرية الموزعة ككبؤؤ العين في صفائه البهي، ليصبح مغلاة. والمغلاة طرفة وحكاية وظرف على شاكلة «البصاينة».

فالبصاينة كاهل القرى الطيبين يحملون الاشياء اكثر مما تستحق. ولكنهم في تعابيرهم يجمعون الواقع. هم ابناء الحياة. والحياة لا تعرف مفاضلة الا في التقوى والورع والتواضع. لهذا لا يفلسفون الفكرة. الفكرة تفلسفهم. ويعكس الادعاء ينسحقون في العطاء والبهاء. هم عطية في الجمال، والجمال بين ايديهم وعلى وقع مطارقهم وازاميلهم، مدهش وجديد. حتى «جنونهم» في اعلاء ورشة راشانا وتكاوينها، هو جنون لطيف واليف.

قرية الفنون الجميلة

منذ ميشال الذي غادر الفرد ويوسف تاركا تفجرات التكاوين والعشايا الحالمات في «قرية الفنون الجميلة» ما زال وقعه ينبض في المطارق في الازاميل، في الشجر وفي الحجر وفي ما يشاد الآن من محترف للنحت الدولي، وحتى في هذه الرفوش التي تحول التراب الى تير يرتفع، يسمع صدى لميشال بصبوص وكأنه يفرح بالمكان الذي يقام الآن ليستقبل من ٤ ايلول ١٩٩٤ الى ١٧ منه، اكبر وأول تظاهرة نحتية في لبنان القديم والمعاصر قوامها سبعة نحاتين

محترف أم متحف؟ الحلم كبير. وعلى وقع الايام والامنيات تكبر راشانا في البال. في الامس كانت وعدا وتحقق واليوم صارت مزارا. قاصدها يرتاح للمدى ولزرقة الصفاء في سمانها. والسائل عن الطبيعة البكر فيها، من علو ليس ببعيد عن البحر، يشعر وكأنه يدخل صومعة من تماثيل واحجار يتلوى حولها الشجر مع طيور الوعر التي تحط على الافنان وفي حدائق اللوز مرتاحة مغنية.

واذا ارتفع اكثر الى تلة مظلة في «سمار جبيل» يراها ملتوية كالافعوان تنفخ في كل الاتجاهات، في فحيحه بركان تأثر يتحول سريعا الى كاتدرائية طقس سرياني، عبادته مزامير قديمة في لازمة فينيقية متأصلة.

هذه الراشانا المسبوكة سبكا كدمج العذراء ذهبا، فضة، حجرا او خشبا، بازلتا رخاما، يشيا وزهرة لوتس، يحولها الفرد بصبوص الى متحف حي على الملأ، وفي معاندته للحلم يصنع من قريته جنونا جميلا، مدهشا في بعضه ومستحيفا في بعضه الآخر. وكان عصا النحات السحرية التي حملها في قبضتيه بعد رحيل المعلم الاول ميشال بصبوص بسنوات، هي عصا الترحال الجديد الى برية مدهشة من اعصاب الخلق، وتجدد المعنى وعمق التجربة وعثوها المعاند.

فالتركة باتت اعجازية. والمحقق منها على الارض، وفي البهو الكبير من راشانا، نزولا على مطل من الساحل البتروني، تراه العين ادهاشا لها وكان الارث «البصبوصي» المتزامن مع البناء المستمر للداخل، ان يبقى تواسلا في التاريخ لتعميق التاريخ وانطلاقات لا انتهاء لها الا «بشقع» الحلم وترتيبه ايدا وبازدياد، من اجل ان يكون لبنان في ذاته لقاء حضاريا وحضاريا فقط.

المرحلة والتكوين الجديد

هل قدر الفرد بصبوص من قدر ميشال بصبوص ان يلون المرحلة بتكوين جديد دعاه متحفا لا يواء مكتنزات الخلق الطبيعية تحت سقوفه الواطئة والعالية؟ ام انه يختلف عن أخيه بجعل راشانا ملتقى النحاتين ومن كل الجهات، فيقيم لهم ما يشاد الآن على ارضه قريبا من سكنه العائلي ومحترفه الشخصي وقد دعاه، ربما، «محترف راشانا الدولي للنحت»؟ عندما بدأت تجربة ميشال بصبوص تتكون في مراحلها المبكرة في العام ١٩٥٨ كانت بعد طرية... ولبنان يحيا تمخضات الداخل وعهد الرئيس كميل شمعون يلفظ انفاسه الاخيرة في القنطاري، وراشانا التي عاد اليها مع ازميله وافكاره المنطلقة كانت «قاعا صفيصا» في طبيعة بكر مغلفة باشجار وعصافير وبعزلة ابدية عاشها وهو صغير بين الريح والمطر وعلى مذب الخوري بصبوص.

وسريعا نجح في تحويل هذه القرية الى لقاء اول للمسرح وللفرق العالمية تزامنا مع محترف النحت الذي اقامه له ولاخويه الفرد ويوسف. وراشانا «قرية الفنون الجميلة» التي حولها الى حكاية وبهو رائع باعضابه وعزيمة عائلته كبرت بعد غيابه ليبقى هو في تماثله المزروعة على مداخلها وفي قلب حقولها، شاهد ذكريات وجمالية ملفتة من ابتكار خاص، وتجربة مغامرة، يتمثل في متروكات صنعتها يدها للنهضة النحتية الثانية بعد يوسف الحويك.